**المقياس: فلسفة التاريخ**

**المستوى: الثانية ليسانس**

**الدكتور: الوردي حيدوسي**

**فلسفة التاريخ عند هيغل:المحاضرة1+2**

1/**جورج فرديرك هيجل(1770-1831 )**ولد في مدينة شتوتجارت جنوب غرب ألمانيا من أهم مؤسسي الفلسفة المثالية الألمانية أوائل القرن التاسع عشر .

-دخل معهد توبنجن الديني سنة1787م (17سنة ), وهو معهد بروتستانتي لتخريج القساوسة الإنجيليين ,ودرس فيه لمدة خمس سنوات ليصبح حاملا للأهلية اللاهوتية (خلفية دينية مسيحية )-لكنه تخلى عن الدراسات الدينية ,ليصبح سنة 1816أستاذا في جامعة هيدلبرج أهم جامعات ألمانيا في الدراسات الفلسفية والإنسانية .

-اشتغل مديرا لجامعة برلين (1829-1831) وكل أستاذ يغيب كان يخلفه , وكان طلابه يتمنون غياب أساتذتهم لمرافقة هيغل ،مات بداء الكوليرا الذي انتشر 1831في بروسيا (14نوفمبر1831).

**مؤلفاته :** أثناء حياته لم ينشر سوى أربعة كتب وهي : 1-ظاهريات الروح 2-المنطق 3-فلسفة القانون 4-موسوعة العلوم الفلسفية **،**لكنه ترك ما يربو عن 20 مجلدا ,ترجم بعضها إلى العربية ,ومنها :

-المدخل إلى علم الجمال :ترجمه جورج طرابيشي بيروت 1978.

-محاضرات في تاريخ الفلسفة :ترجمة خليل أحمد خليل 1986.

-حياة يسوع :ترجمة جورجي يعقوب .

-أصول فلسفة الحق :ترجمة إمام عبد الفتاح إمام 1996م.

**من أقواله :** تاريخ العالم ليس إلا تقدم الوعي بالحرية

التعليم فن يجعل البشر أخلاقيين

وعي الحرية وعيا تاما في كل زمان ومكان , لابد أن يكون سابقا عن تحققها عمليا .

**2/الفلسفة عند هيغل :**

**\***مهمة الفلسفة عند هيغل هي الوصول إلى الحقيقة ,وهي تمثل أرقى صور التفكير الإنساني والصورة العليا له ,بهدف الكشف عن المطلق .

**\***التاريخ الحقيقي للفلسفة هو الذي يبين لنا كيف أن فلسفة ما نمت من روح العصر,كجزء من حركة الروح في سعيها نحو الحقيقة المطلقة .

**\***التاريخ عبارة عن منظومة تطور خاضعة لمنطق باطن كامن في الشخصيات التاريخية بوصفها مجرد أدوات لتحقيق هدف مضمر للروح (المطلق)ويسميهم (عظماء التاريخ )

فلسفة التاريخ ليست مجرد استعراض و إبداء ملاحظات عامة حول تاريخ البشرية أي التاريخ الجزئي لأمة ما، بل المقصود هو التاريخ الكلي العام للإنسانية ,لذلك شن هجوما عنيفا على مؤرخ الفلسفة الذي يكتفي بجمع أقوال الفلاسفة و يفسر حركية التاريخ تفسيرا جزئيا معزولا عن عناصره الكلية، و يحدد انجلز مكانة هيغل في إبراز تطور الفلسفة بالقول **:"لقد بلغت الفلسفة الألمانية الجديدة ذروتها في مذهب هيغل,و الذي تكمن مأثرته التاريخية العظيمة في أنه كان أول من نظر إلى العالم الطبيعي و التاريخي و الروحي بوصفه عملية,أي في حركة دائمة و في تغير و تطور، و قام بمحاولة للكشف عن العلاقة الداخلية لهذه الحركة و لهذا التطور"،** لكن قبل فهم فلسفة التاريخ عند هيغل,لا بد من استعراض تقسيمهللمناهج التاريخية المعمول بها في [حقل](http://ramdane.marocprof.net/post/112291) الدراسات التاريخية،إذ يصنفها الى ثلاثة مناهج أساسية وهي :

**أولا : التاريخ الأصلي** : فيه المؤرخ معايشا لزمانه ، فينقل الوقائع بروح عصره دون زيادة أو نقصان . **ثانيا :التاريخ النظري :** يعيد فيه المؤرخ كتابة الأحداث التاريخية السابقة على عصره ، مما بجعل من كتابته عملا يتجاوز روح العصر ، فينحرف عن الحقيقة التاريخية ،و التاريخ النظري الذي يعمل فيه المؤرخ على استعادة الأحداث الماضية ، ينقسم بدوره الى أربعة أنواع : **النوع الأول** : يقترب من التاريخ الأصلي ، إذ لا يعدو أن يكون مجرد سرد لأحداث الماضي ، غير أنه و بخلاف التاريخ الأصلي ، فإن المؤرخ يسقط روح عصره على العصور السابقة ، وهذا ما يظهر في طبيعة المصطلحات و اللغة و الثقافة ،مما يجعل المؤرخ يتأثر بأفكار عصره أكثر من خدمة الحقيقة التاريخية ، **النوع** [**الثاني**](http://ramdane.marocprof.net/post/112291) : يسميه هيجل **بالتاريخ العملي أو البراجماتي**، حيث يهتم فيه المؤرخ باستخلاص العبر والعظة والمبادئ والقيم والدروس الأخلاقية، غير أن هذا النوع من الكتابة التاريخية لا يحقق هدفه، اذ لا يمكن حسب "هيجل" الاستفادة من التاريخ مادام هذا الأخير لا يعيد نفسه، ويمثل"هيجل" لذلك بالشعوب والحكومات والدول التي لم تتعلم من التاريخ شيئا على الاطلاق، النو**ع الثالث: التاريخ النقدي:** هذا النوع من الكتابة التاريخية لا يعمل على عرض وقائع التاريخ نفسه، بقدر ما يعمل على عرض الروايات المختلفة قصد فحصها ودراستها ونقدها، فهو يقارن ويقارب بين ما يكتبه المؤرخ ( ما هو كائن فعلا)، وما ينبغي ان تكون عليه الرواية التاريخية، **النوع الرابع: التاريخ الجزئي العام**: يكون هذا التاريخ جزئيا، لأنه لايدرس تاريخ الانسان عامة، وانما يدرس جزءا من انتاجه الثقافي ( روحه ) ، كدراسته للقانون مثلا أو الفن أو الدين ( إلخ ) ،غير أن عموميته تبرز في كونه لا يدرس ذلك الجزئي عند حضارة معينة ، بل يدرسه انطلاقا من تاريخ الحضارات الإنسانية بأسره ،وذلك عبر محاولة تفسير التطور الذي يلحق ذلك الجزء ،وهكذا تكون الروح وفق هذا المنهج التاريخي واحدة تنمو وتتطور طوال العصور التاريخية المختلفة ،مما يجعل من هذا النمودج التأريخي يقترب من التاريخ الفلسفي حسب " هيجل ".

**ثالثا: التاريخ الفلسفي** : يشكل كل من التاريخ الأصلي و النظري حسب " هيجل " المادة الاولية لكتابة التاريخ الفلسفي ، و يقصد بالتاريخ الفلسفي عنده " دراسة التاريخ من خلال الفكر "، ومرد هذا التعريف الى كون أن الانسان من جهة أولى : لا يمكن أن يكون الا فكرا أو وعيا ، أو بصفة أدق الانسان " روح " ،ومن ثمة " فالفكر مبثوت في كل ما هو بشري" أنظر (هيجل، موسوعة العلوم الفلسفية ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ،دار التنوير ،ط 3، 2007،ص 24 ) ،أما من ناحية ثانية فإن التاريخ الحقيقي للانسان لا يبدأ الا مع ظهور الوعي ، إذ أن الفكر الأسطوري للمجتمعات، ينتمي الى ما قبل التاريخ الانساني ،لذلك كان انفصال الانسان عن الطبيعة هو نقطة بدء التاريخ ،حيث يقول **:" الدراسة الفلسفية للتاريخ تعني إذن ، دراسة التاريخ من خلال الفكر ، لأن التاريخ هو تاريخ الانسان و الفكر جوهري بالنسبة اليه، فهو الخاصية التي تميزه عن الحيوان "[[1]](#footnote-2)** . هكذا فلن تغدو أعمال الانسان كلها مجرد أحداث ووقائع معزولة ، بحيث سيتعذر على المؤرخ فهمها أو حتى التأكد من صحتها ، ومن ثمة وجب النظر اليها باعتبارها المظهر الخارجي للتفكير . **يمكن اذن** اعتبار ان الدراسة الفلسفية للتاريخ ، نابعة من الفكرة الهيجلية الأساسية عن العقل و التي تقول **: " إن العقل يسيطر على العالم ، وأن تاريخ العالم يمثل امامنا بوصفه مسارا عقليا "،** غير أن العقل عنده لا يقصد به العقل المتعالي عن الواقع ، كما لا يقصد به العقل الجزئي للفرد ,وانما المقصود من ذلك هو **العقل الكوني المحايث للعالم** ، اذ من شأن الحكمة الالهية أن تقتصر على أحداث فردية كإنقاذ غريق أو نجدة بائس ، فهي بالتالي مجرد إشباع لرغبات معينة للفرد ، أما في دراسة التاريخ فإن المؤرخ يتعامل مع شعوب و دول .

كما يقسم تاريخ الفلسفة إلى ثلاثة أقسام كبرى.

أ-**فترة الفلسفة اليونانية:**و تمثل الفكر في بدايته الأولى,و تبدأ حوالي 600ق م و، تسمر إلى القرن الثالث عشر زمن الأفلاطونية المحدثة(أفلوطين) .

**ب**-**فترة العصور الوسطى**:و تشمل الفلسفة المدرسية و الإسلامية و اليهودية و امتدت زهاء ألف عام.

**ج**-**فترة فلسفة العصور الحديثة**:و قد ظهرت مع الفلسفة العقلانية في فرنسا والفلسفة التجريبية مع فرنسيس بيكون(1561-1626)في انجلترا ،و امتدت قرنين من الزمن ،ثم يعود فيقسم كل مرحلة إلى أقسام.**أنظر كتاب "تاريخ الفلسفة عند هيغل"ل إمام عبد الفتاح إمام.**

**3/الديالكتيك (الجدل الهيجلي):**

الجدل يعني فن الحوار,وقد تجلى من خلال المنهج الحواري لدى سقراط بهدف تحصيل المعرفة و التذكير بها في محاورات أفلاطون ,و طوره أرسطو في كتابه"الطوبيقا"،ممثلا في الجدل العقلاني القائم على الاستدلال العقلي لضمان توافق المقدمات مع النتائج و إقناع الغير بفكرة الأنا. **عند هيغل** :الجدل حركة ضرورية ثلاثية تنتقل من الفكرة إلى النقيض ثم إلى الثالوث أو المركب،**ويقدم هيجل بعض الأمثلة التي تبين العلاقة بين الفكرة و نقيضها ، فتبرز من ثمة أن الجزئي يؤدي الى ضده ، أي الكلي ، فبناء منزلا مثلا ، هو غاية و تصميم ذاتي ( فكرة ) ،غير أن الفكرة تحتاج الى نقيضها ( مواد البناء ) ، و عند إتمام بناء المنزل يتحول الى نقيضه ، فهو يصير بمثابة حماية ضد العوامل الخارجية التي صنع من خلالها،**وقد عبر **مصطفى النشار** عن التناقض في المنهج الجدلي بالقول**:"إننا في البداية نتناول فكرة ناقصة,فتؤدي متناقضاتها إلى أن يحل محلها نقيضها ،غير أن هذا النقيض تظهر فيه العيوب نفسها,فلا يبقى طريق للخلاص سوى أن ندمج بين محاسن التصورين في تصور ثالث ،و مع أن هذا العلاج من شأنه أن يحل المشكلات السابقة و يتقدم بنا خطوة نحو الحقيقة,إلا أنه بدوره يكشف عن متناقضات فينشأ من جديد موضوع** **و نقيضه,ثم يرتفع هذا التناقض بينهما في تأليف جديد ،و هكذا دواليك حتى نصل إلى مقولة الفكرة المطلقة ".**

هذا يعني أن الجدل هو عصب فلسفة هيغل ,و من جهة ثانية فإن التناقض هو عصب جدليته,و لولا التناقض لما حدث أي تطور أو تغير أو تقدم. و يفسر بذلك التاريخ على انه محطات و حلقات متناقضة تنتقل فيها البشرية من وضع إلى ما هو أحسن نحو الحرية,و يعتبر **فترات الرخاء و السلام العالمية** الخالية من التناقض بمثابة فترات مظلمة لا تعبر عن مراحل التاريخ الحقيقي.

**4/من الذي يحكم التاريخ؟:**

**يرى هيغل أن العقل يحكم التاريخ** و يسيطر على العالم فهو جوهر الطبيعة,كما هو جوهر التاريخ،و مسار التاريخ عبارة عن **كفاح الروح ليصل إلى وعيه بذاته**,أي لكي يكون حرا,و كل مرحلة يمر بها التاريخ تعبر عن درجة للتقدم نحو الحرية,و قد مرت الروح في تطورها نحو الحرية بثلاث مراحل,تختلف كل واحدة نحو الأخرى باختلاف تحقق درجة الحرية:  **أ/-الحضارات الشرقية القديمة:** الصينية, الهندية, الفارسية, و الفرعونية, و هنا الجميع عبيد, و الحرية لشخص واحد هو الحاكم, إلا أن حريته ليست وعيا لأنها كانت سعيا وراء شهواته. **ب/- الحضارات اليونانية و الرومانية:** و هنا اتسع نطاق الحرية ليشمل المواطنين, و لم تكن مقتصرة على الحكام فقط, غير أن هذه الأمم كانت تنظر إلى بقية الأمم الأخرى نظرة عبودية وأنهم برابرة و همج, وقد ورد في كتابات أفلاطون ما يبرر ذلك**(تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات)**:حكام:فلاسفة ..النفس الناطقة, جنود :الشجاعة.....النفس الغضبية , عبيد: عفة ....النفس الشهوانية،وتتحقق الفضيلة برضوخ النفس الشهوانية للغضبية,و إذعان الغضبية للناطقة.  **ج/الحضارة و الأمة الجرمانية:**و هي أولى الأمم التي بإمكانها أن تصل إلى الوعي و إلى الحرية,و فيها تعي الروح ذاتها,و تنصهر الذات للفردية في المطلق(الدولة)،و يقوم الفرد بالواجب فقط لأنه واجب عليه دون انتظار أهداف بعدية.

**5/ وسائل تحقق التاريخ:**

يقول هيغل**:"إن الروح في الأصل أشبه بالبذرة الجوابية,ثم تبدأ في تطوير نفسها شيئا فشيئا ،مستخدمة في ذلك وسائل خارجية و ظاهرة تتمثل أمامنا في التاريخ."،و**يرى أن التاريخ يسير نحو التحقق الموضوعي الكلي بعيدا عن نزوات و رغبات الأفراد لكن لا بد له من وسائل ،إذ تبدو لأول وهلة أفعال للناس صادرة عن حاجاتهم و انفعالاتهم و مصالحهم الشخصية ،لكن الحقيقة غير ذلك تماما (أنظر فرويد مثلا)،لذلك فهيجل يرد حركة التاريخ الظاهرة إلى عاملين:

**أ/** **حاجات الأفراد و مصالحهم**:فهي أكبر منابع السلوك و الدافع الأساسي لحركة التاريخ كالرغبة في السيطرة وإشعال الحروب وغيرها,وهذا رغم ما يواجهه الأفراد من مصاعب و عقبات و حواجز و قوانين و هنا يميز بين : وجود في ذاته:لم يتحقق بعد أي في حالة الكمون,وحسب تعبير أرسطو:**الوجود بالقوة**,لكن هذا الوجود لا بد أن يتحول إلى وجود بالفعل،أي تحقق نقيض الفكرة,و هنا فمسار التاريخ بحاجة إلى عامل ثاني هو:

**ب/الإرادة:**و يعني بها فاعلية الإنسان و إصراره و قدرته في نقل الفكرة من وجودها بالقوة إلى الوجود الفعلي لتنفي نقيضها و تحل محلها......

**إذن:**كل ما يتحقق عبر مسار التاريخ,من تطور للوعي بالحرية و الانتقال للروح من حالة إلى أخرى، قائم بالضرورة على منافع شخصية و حاجات جزئية ،هي بمثابة العامل المحرك الذي يخرج تلك المبادئ إلى حيز للوجود الفعلي ،و قد عبر هيغل عن ذلك بالقول **:"إننا نستطيع التأكيد على نحو مطلق ،أنه لم ينجز شيء عظيم في العالم بدون عاطفة و انفعال"[[2]](#footnote-3).**

لكن هذه الرغبات الجزئية الظرفية إنما تخدم الإرادة الكلية من حيث لا تعلم, أي أن العقل الكلي يستعين بالشخصيات التاريخية العظيمة في سبيل تحقيق أهدافه,وما جعلهم أقوياء هو سعيهم وراء مصالحهم ورغباتهم,وهذا ما يسميه هيغل "**خبث العقل الكلي المسيطر على التاريخ** "

**لكن:**ذلك لا يعني الإنتقاص من دور الأبطال, بل يعتبرهم صناع التاريخ, لأنهم استطاعوا التفاعل مع الخفي الذي تريده روح العصر الذي عاشوا فيه, و أفعالهم موافقة للإرادة الكلية فهم حكماء عصرهم, لذلك يهاجم أولئك الذين يقللون من شأنهم, و بعبارة أدق فإن رغبات و أهواء العظماء خاضعة لإرادتهم و ليس العكس و إرادتهم نابعة من الإرادة الكلية الخفية, وهنا يكون عملهم أخلاقي و مشروع.

**6/تاريخ العالم جغرافيا:**

هناك ارتباط وثيق بين التاريخ و الجغرافيا, وللموقع الجغرافي أثر هام في مسار التاريخ ،لذلك أشار هيجل إلى ضرورة استبعاد المناطق الحارة و المتجمدة من مسرح الأحداث التاريخية و كذا استبعاد العالم الجديد (أمريكا و استراليا) إذ لم يتم اكتشافهما بعد. لذا فمسرح التاريخ هو المناطق المعتدلة الكائنة حول البحر الأبيض المتوسط ،الذي يعد مركزا لتاريخ العالم ،وقد قسم المناطق الجغرافية إلى ثلاثة أقسام:

**أ/الأماكن المرتفعة**: تتميز بوجود أماكن كثيرة تصلح للرعي؛ ولهذا تظهر فيها الحياة الأبوية البطريركية التي لا تظهر فيها العلاقات القانونية بين السكان في هذه المناطق الجبلية؛ ولهذا توجد فيهما صفتان: الكرم وحسن الضيافة من ناحية، والسلب والنهب من ناحية أخرى،(**افريقبا وأواسط آسيا).**

**ب/منطقة السهول الوديانية**: هي المنطقة التي تتميز بالأرض الخصبة والأنهار، كما في **الهند والصين وبابل ومصر،** وفي هذه المناطق تنشأ الدول والممالك العظمى، حيث تكون الزراعة هي مصدر الرزق، ويقوى الارتباط بين الإنسان والأرض، حيث يرتبط الإنسان بالتربة وتشده إليها، وتجعله خاضعًا لمجموعة لا نهاية لها من التبعيات.

**ج/المناطق الساحلية**: المحيطة بالبحر،الذي هو مصدر إلهام إلى فكرة اللامتناهي،التي تمكن الفكر من تجاوز نطاق المحدود والسعي إلى اللامتناهي،كما هو واضح في الغزو و الفتح والحكمة**( أوروبا).**

و قد مر التاريخ في تطوره نحو الوعي و المطلق بخمس مراحل:

**أ/**مرحلة الطفولة: الشرق (الصين و الهند):الحرية لفرد واحد

**ب/**مرحلة الصبا: آسيا (فارس ومصر)

**ج/**مرحلة المراهقة:اليونان.

**د/**مرحلة الرجولة: الدولة الرومانية.

**ه/**مرحلة الشيخوخة:العالم الجرماني, اكتمال الوعي, الحرية, المطلق ،و الشيخوخة هنا لا تعني الضعف أو نهاية الحرية بل تعني القوة و بداية الحرية.

**خاتمة: ملاحظات عامة**

**\***التاريخ لا ينتهي في المستقبل بل ينتهي في الحاضر, وهنا انتقده السويسري ادوارد فيوتر الذي بين أن فلسفة التاريخ يجب أن تهتم بمسار التاريخ البشري كله.

**\***نسبية المعايير لديه بحجة تحقق الروح المطلق و اعتماد المعيار الميكافيلي في تبرير بعض الحوادث التاريخية كالحروب و الإبادة و غيرها (النازية مثلا). **\***وصفه زعماء التاريخ بالعظماء, وفي ذلك تمجيد للديكتاتورية والقمع. **\***فترات الرخاء و السلام ليست مراحل تاريخية, وفي ذلك دعوة ضمنية إلى الحروب و الصراع بين الأمم. **\***تناقض في أرائه, انتقاده للحضارات والأمم السابقة ، و أخذه فكرة (النوس)أي العقل الذي يحكم الكون عن إنكساغوراس.

\*المتأمل لفلسفة هيجل يلاحظ أنه لا يوجد عنده معيار للخطأ والصواب، والشر والخير، فكل الأمور عنده نسبية، ولا توجد أيُّ مقاييس أخلاقية، بل إنه برر الأفعال التاريخية الشنيعة للحكام، حيث جعلها مسارًا طبيعيًّا كان لا بد للروح أن يتخذه في طريق تحقيق أهدافه، "تقوم فلسفة هيجل التاريخية على أصول ميكافيلية - بعد أن جعل التبرير ميتافيزيقيًّا - فنظريته لا تعبأ بالأخلاق، ولا ببؤس الشعوب، وقد أصبحت نظريته التاريخية جزءًا من أيديولوجية أبشع النظم السياسية وأكثرها تعصبًا وبربرية؛ إنه النظام النازي.

\* وأخيرا فقد تجاهل الحضارة العربية والتاريخ الإسلامي، ومر عليه كأنه لم يكن، فاختزل مراحل التاريخ إلى تاريخ شرقي قديم، ثم يوناني وروماني، ثم جرماني! وكأن الحضارة العربية والإسلامية التي جاءت بعد الرومان ليس لها أيُّ قيمة ولا ذكر أو حتى إشارة! وهي سقطة كبيرة في حق فيلسوف كبير.

1. هيجل، العقل في التاريخ ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ،دار التنوير ، ط 3، 2007،ص 41 [↑](#footnote-ref-2)
2. **هيجل ،العقل في التاريخ ،ص 93.** [↑](#footnote-ref-3)